الإصلاح الديني مفهومه وخصائصه

أركان إبراهيم هزيم هزيم
طالب دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
ibraheemarkan415@gmail.com
د. عبد الوهاب حسين فراتي
الأستاذ المشرف، معهد الثقافة الإسلامية والفكر، جامعة الاديان والمذاهب، قم، إيران
Forati129@yahoo.com
سلام سيد قاسم رزاقي موسوي
الأستاذ المشاور، معهد أبحاث العلوم والثقافة الإسلامية، معهد أبحاث التاريخ والثقافة، مكتب الدعاية الإسلامية، إيران
razzaghi@isca.ac.ir

Religious Reform Concepts and Characteristics

Arkan Ibrahim Hazim Hazim
PhD Student , Department of Islamic History , University of Religions and Sects , Qom , Iran
Dr. Abdel Wahab Hussein Fourati
Supervisor , Institute of Islamic Culture and Thought , University of Religions and Sects , Qom , Iran
Dr. Salam Seyyed Qassem Razaqi Mousawi
Consultant , Research Institute of Islamic Sciences and Culture , Research Institute of History and Culture , Islamic Propaganda Office , Iran

الملخص:-

عند الخوض في مفهوم الإصلاح الديني وخصائصه، لا بد من الشروع في استكشاف شامل للأبعاد المختلفة التي تشكل هذه الظاهرة. إن الإصلاح الديني يتجاوز مجرد التغييرات السطحية في الممارسات الدينية وبدلاً من ذلك، فهو يجسد إعادة تقييم عميقة وتكييفا للمذاهب و الطقوس و المؤسسات الدينية لتلبية متطلبات السياقات المجتمعية المتطورة. يبدأ هذا بفحص الأساليب العقلانية والمنهجية المستخدمة في إعادة تفسير النصوص و المذاهب الدينية مع التركيز على أهمية التفكير النقدي و الخطاب العلمي في معالجة القضايا الدينية المعقدة. علاوة على ذلك، فإنه يبحث في التفاعل المعقد بين المبادئ الدينية و الاكتشافات العلمية الحديثة، ويدرس كيفية تصارع الفكر الديني مع التقدم العلمي والتكنولوجي. علاوة على ذلك، يتعمق البحث في المناقشات المتعددة الأوجه المحيطة بالإيديولوجيات القومية والطائفية ويوضح تأثير كل منها على الفكر والممارسة الدينية. ومن خلال تحليل هذه الخطابات الأيديولوجية، يسعى إلى توضيح العلاقات المتبادلة المعقدة بين الدين و السياسة و التحول المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح الديني، التغيرات السطحية، المؤسسات الدينية، القومية، الطائفية، الخطاب العلمي، الخطابات الأيديولوجية.

Abstract:-

When delving into the concept of religious reform and its characteristics, it is necessary to embark on a comprehensive exploration of the different dimensions that constitute this phenomenon. Religious reform goes beyond mere superficial changes in religious practices; instead, it embodies a profound reappraisal and adaptation of religious doctrines, rituals, and institutions to meet the demands of evolving societal contexts. This begins with an examination of the rational and methodological approaches used in reinterpreting religious texts and doctrines, with an emphasis on the importance of critical thinking and scientific discourse in addressing complex religious issues.

Moreover, it examines the complex interplay between religious principles and modern scientific discoveries, and examines how religious thought grapples with scientific and technological progress. Furthermore, the research delves into the multifaceted debates surrounding nationalist and sectarian ideologies and demonstrates the impact of each on religious thought and practice. By analyzing these ideological discourses, he seeks to clarify the complex interrelationships between religion, politics, and societal transformation.

Key words: Religious reform, superficial changes, religious institutions , nationalism , sectarianism, scientific discourse, ideological discourses.

المقدمة:

عند الخوض في مفهوم الإصلاح الديني وخصائصه، لا بد من الشروع في استكشاف شامل للأبعاد المختلفة التي تشكل هذه الظاهرة. إن الإصلاح الديني يتجاوز مجرد التغييرات السطحية في الممارسات الدينية؛ وبدلاً من ذلك، فهو يجسد إعادة تقييم عميقة وتكييفًا للمذاهب والطقوس والمؤسسات الدينية لتلبية متطلبات السياقات المجتمعية المتطورة. يبدأ هذا البحث بفحص الأساليب العقلانية والمنهجية المستخدمة في إعادة تفسير النصوص والمذاهب الدينية، مع التركيز على أهمية التفكير النقدي والخطاب العلمي في معالجة القضايا الدينية المعقدة. علاوة على ذلك، فإنه يبحث في التفاعل المعقد بين المبادئ الدينية والاكتشافات العلمية الحديثة، ويدرس كيفية تصارع الفكر الديني مع التقدم العلمي و التقدم التكنولوجي.

المبحث الأول

النهج العقلاني للدين

يتناول هذا المبحث النهج العقلاني للدين في مطلبين اثنين أولهما هو التفسير العقلاني للنصوص الدينية، والذي يستكشف منهجية توظيف العقلانية والتفكير النقدي في تفسير الكتب والمذاهب الدينية. وهو يتعمق في كيفية التوفيق بين العلماء بين التعاليم الدينية التقليدية والأطر الفكرية الحديثة، مع التركيز على أهمية التحليل السياقي والمناهج التأويلية في استخلاص التفسيرات المعاصرة. والثاني هو ترشيد الممارسات الدينية، والذي يتناول ترشيد الشعائر والاحتفالات والممارسات الدينية في إطار الإصلاح الديني. ويناقش كيف يسعى الإصلاحيون الدينيون إلى التوفيق بين التقاليد الدينية القديمة والحساسيات الحديثة، وغالباً ما يدعون إلى إعادة تفسير الطقوس الدينية لتتماشى مع المبادئ الأخلاقية والأعراف المجتمعية.

المطلب الأول: التفسير العقلاني للنصوص الدينية.

يستكشف هذا القسم منهجية توظيف العقلانية و التفكير النقدي في تفسير الكتب والمذاهب الدينية. وهو يتعمق في كيفية التوفيق بين العلماء بين التعاليم الدينية التقليدية والأطر الفكرية الحديثة، مع التركيز على أهمية التحليل السياقي والمناهج التأويلية في استخلاص التفسيرات المعاصرة في هذا الصدد.

يشير التفسير العقلاني للنصوص الدينية إلى منهج تحليل وفهم الكتب السماوية باستخدام العقل و التفكير النقدي و الأساليب العلمية. و هو ينطوي على تطبيق العقلانية لاستخلاص رؤى ذات معنى ومبادئ أخلاقية من النصوص الدينية، بدلا من الاعتماد فقط على التفسيرات الحرفية أو التقليدية. وفي هذا السياق، يستخدم العلماء أدوات مختلفة مثل السياق التاريخي، والتحليل اللغوي، والدراسات المقارنة للكشف عن المعاني المقصودة من النصوص الدينية. وهم يدركون أن النصوص المكتوبة باللغات والثقافات القديمة قد تتطلب تفسيراً دقيقًا لتتوافق مع القيم الأخلاقية و الاجتماعية المعاصرة. علاوة على ذلك، يؤكد التفسير العقلاني على أهمية التوفيق بين التعاليم الدينية والاكتشافات العلمية والاستفسارات الفلسفية. وبدلاً من النظر إلى الدين والعلم كمجالين متعارضين، يسعى أنصار التفسير العقلاني إلى دمج رؤى من كلا التخصصين لإثراء فهمهم للإيمان والروحانية. إذن يهدف التفسير العقلاني إلى تعزيز تفاعل أعمق مع النصوص الدينية، وتشجيع المؤمنين على التفكير النقدي في عقيدتهم وتطوير فهم أكثر استنارة ودقة للمبادئ والمذاهب الدينية. إنه يمكّن الأفراد من المشاركة في حوار هادف، ومعالجة التحديات اللاهوتية، والتنقل بين تعقيدات المعتقد الديني في عالم سريع التغير[١].

في الواقع، وعلى عكس العديد من النصوص الدينية، فإن نصوص القرآن ليست نصوصاً هلامية تتشكل على أهواء التفسير الفردي أو التلاعب لتناسب أجندات شخصية أو مجتمعية. فهي تعتبر كلمة الله المطلقة، غير القابلة للتغيير، ولها سلطة تتجاوز الزمن و السياقات الثقافية. وهذه الخاصية الفريدة تميز القرآن عن الكتب الدينية الأخرى، فهو ليس مجرد وثيقة تاريخية بل دليل حي للمسلمين في جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، في حين أن النص نفسه يبقى دون تغيير، فإن تفسيره يمكن أن يختلف تبعا للسياقات الثقافية و التاريخية و الاجتماعية للقراء[٢].

وفي هذا الصدد، تولى الإصلاحيون مهمة إعادة قراءة القرآن وإعادة تفسيره لمعالجة القضايا و التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات الإسلامية. لقد سعوا إلى سد الفجوة بين الفهم التقليدي للقرآن و الاحتياجات المتطورة للمجتمع الحديث. وبالاعتماد على التقدم الفكري و العلمي و الاجتماعي، تعامل هؤلاء المصلحون مع القرآن بمنظورات جديدة، ساعيين إلى استخلاص المبادئ و القيم الخالدة التي يمكن تطبيقها على السياقات المعاصرة[٣].

المطلب الثاني: ترشيد الممارسات الدينية:

يتناول هذا القسم ترشيد الشعائر و الاحتفالات و الممارسات الدينية في إطار الإصلاح الديني. ويناقش كيف يسعى الإصلاحيون الدينيون إلى التوفيق بين التقاليد الدينية القديمة و الحساسيات الحديثة، وغالباً ما يدعون إلى إعادة تفسير الطقوس الدينية لتتماشى مع المبادئ الأخلاقية و الأعراف المجتمعية.

تشير الممارسات المستنيرة دينيًا، عند تبسيطها أو ترشيدها، إلى عملية تحسين الطقوس و العادات و السلوكيات الدينية لضمان توافقها مع التعاليم و القيم و الأهداف الأساسية للدين المعني. إن مفهوم ترشيد الممارسات الدينية هذا لا يقتصر على الإسلام فحسب، بل يوجد في العديد من التقاليد الدينية حيث يسعى المؤمنون إلى تعزيز الأبعاد الروحية و الأخلاقية و الاجتماعية لعقيدتهم. في الإسلام، يتضمن ترشيد الممارسات الدينية إجراء تقييم نقدي وإعادة تقييم للعادات و الطقوس التقليدية في ضوء القرآن، وتعاليم النبي محمد (الحديث الشريف)، و الأهداف الأوسع (مقاصد) الشريعة الإسلامية. و الهدف من ذلك هو القضاء على الممارسات غير الضرورية أو المضللة التي ربما تسللت إلى ممارسة الشعائر الدينية مع مرور الوقت، وضمان أداء الطقوس بإخلاص وفهم وملاءمة في هذا الصدد(٤).

ينطوي أحد جوانب ترشيد الممارسات الدينية في الإسلام على تعزيز فهم أعمق للمبادئ و الأغراض الأساسية وراء مختلف أعمال العبادة و الالتزامات الدينية. ويشمل ذلك تثقيف المؤمنين حول أهمية ومعاني الشعائر مثل الصلاة، و الصيام، و الصدقة، و الحج. ومن خلال التأكيد على الأبعاد الروحية و الأخلاقية لهذه الممارسات، يتم تشجيع المسلمين على التعامل مع واجباتهم الدينية بوعي وقصد وإخلاص. وهناك جانب آخر لترشيد الممارسات الدينية يتضمن تكييف التعاليم الدينية مع السياقات المعاصرة مع الحفاظ على أصالتها ونزاهتها. وقد يستلزم ذلك معالجة الممارسات أو التفسيرات الثقافية التي لا تتفق مع المبادئ الإسلامية أو التي تديم الأعراف أو المواقف الضارة(٥). على سبيل المثال، يمكن النظر إلى الجهود المبذولة لمكافحة التمييز بين الجنسين، وتعزيز العدالة الاجتماعية، وحماية حقوق الإنسان، كجزء من عملية الترشيد، لأنها تتماشى مع الضرورات الأخلاقية للإسلام. علاوة على ذلك، غالبًا ما يتضمن ترشيد الممارسات الدينية دمج رؤى من

مجالات مختلفة مثل علم النفس وعلم الاجتماع و الأخلاق لتعزيز فعالية وأهمية التعاليم و الطقوس الدينية. يسمح هذا النهج متعدد التخصصات لعلماء الدين وممارسيه بمعالجة التحديات المعقدة التي تواجه الأفراد و المجتمعات في العالم الحديث مع البقاء مخلصين للمبادئ الأساسية لعقيدتهم(٦).

وبشكل عام، فإن ترشيد الممارسات الدينية في الإسلام هو عملية ديناميكية ومستمرة تهدف إلى تعميق الاتصال الروحي للمؤمنين مع الإله، وتعزيز النمو الأخلاقي و الأخلاقي، وتعزيز الانسجام الاجتماعي و الرفاهية. ومن خلال مواءمة التقيد الديني مع القيم الإسلامية الأساسية و الحقائق المعاصرة، يسعى المسلمون إلى تنمية نهج شامل ومتكامل للدين يثري حياتهم الشخصية وتفاعلاتهم مع المجتمع الأوسع.

المبحث الثاني

تفاعل الدين والتجربة والعلم

إن التفاعل بين الدين و التجربة و العلم هو موضوع ذو أهمية عميقة، حيث يشكل وجهات نظر الأفراد العالمية، و الأعراف المجتمعية، و الخطاب الفكري عبر التاريخ. في استكشاف ديناميكيات الدين و التجربة و العلم، نبدأ رحلة تتعمق في تعقيدات الفهم البشري وأنظمة المعتقدات و البحث عن المعرفة. لقد كان الدين لفترة طويلة بمثابة حجر الزاوية في الحضارة الإنسانية، حيث يوفر للأفراد إطاراً لفهم أسرار الوجود، و الطبيعة الإلهية، و الغرض من الحياة نفسها.

المطلب الأول: تطور التجربة الدينية:

إن تطور التجربة الدينية هو رحلة متعددة الأوجه تشمل تحويل اللقاءات الروحية الفردية إلى تفاهمات جماعية تشكل المعتقدات و الطقوس و الممارسات الدينية مع مرور الوقت. تشير التجربة الدينية في جوهرها إلى اللقاءات الشخصية و الذاتية العميقة التي يخوضها الأفراد مع الإلهي أو المتعالي، و التي غالبًا ما تتميز بمشاعر الرهبة و التبجيل و الارتباط و المعنى. هذه التجارب متنوعة ويمكن أن تتراوح من الرؤى الغامضة وحالات النشوة إلى لحظات من البصيرة العميقة أو اليقظة الروحية(٧).

على مر التاريخ، لعبت التجارب الدينية دوراً مركزيًا في تشكيل معتقدات وممارسات التقاليد الدينية المختلفة. في العصور القديمة، غالبًا ما كان الأفراد يفسرون لقاءاتهم الشخصية مع الإله على أنها إعلانات مباشرة أو تفاعلات مع الآلهة أو الإلهات أو القوى الخارقة للطبيعة. كانت هذه التجارب بمثابة الأساس للمعتقدات و الأساطير و الطقوس الدينية المبكرة، حيث زودت الأفراد بإحساس بالمعنى و الغرض و الارتباط بالمقدس(٨). ومع تطور المجتمعات وتفاعل الثقافات، شهدت التجارب الدينية تحولات، متأثرة بعوامل مثل التبادل الثقافي، و البحث الفلسفي، و التقدم في العلوم و التكنولوجيا. أدى ظهور الأديان المنظمة إلى ظهور أطر جديدة لفهم وتفسير التجارب الدينية، حيث تتوسط السلطات الدينية في كثير من الأحيان بين الأفراد والإله من خلال الطقوس والمذاهب والكتب المقدسة(٩).

وفي العصر الحديث، تشكل تطور التجربة الدينية من خلال التفاعل بين التقاليد والابتكار، فضلاً عن التحديات التي تفرضها العلمانية والعولمة والبحث العلمي. في حين تستمر الممارسات الدينية التقليدية في الازدهار في العديد من المجتمعات، كان هناك أيضًا تركيز متزايد على الروحانية الشخصية، وممارسات اليقظة الذهنية، واستكشاف مسارات روحية بديلة. علاوة على ذلك، فإن ظهور علم النفس، وعلم الأعصاب، وغيرهما من التخصصات العلمية قد وفر رؤى جديدة حول طبيعة التجربة الدينية، وقدم تفسيرات للعوامل النفسية و العصبية و الاجتماعية و الثقافية التي تساهم في اللقاءات الروحية. وقد أدى هذا النهج متعدد التخصصات إلى فهم أعمق للقدرة البشرية على السمو، فضلا عن الديناميكيات الثقافية و النفسية التي تشكل المعتقدات و الممارسات الدينية(١٠).

المطلب الثاني: دور العلم في تشكيل المعتقدات و الممارسات الدينية.

تعد العلاقة بين الدين والعلم واحدة من أعقد المسائل التي ظهرت في التاريخ الفكري. هذه العلاقة تتنوع من التوافق والتكامل إلى التنافر والصراع، وتعكس تأثيرات وتجارب مختلفة في مختلف الثقافات والحضارات عبر العصور. من جانب واحد، يمكن أن يؤدي التفاعل بين الدين والعلم إلى تحقيق التكامل والتعاون في مجالات مثل الأخلاق والقيم والتعليم. يمكن للعلم أن يساعد في توسيع فهمنا للكون و الطبيعة، في حين يمكن للدين أن

يقدم إطاراً أخلاقياً وروحياً لتوجيه البحث العلمي وتطبيقاته. مع ذلك، يمكن أن تؤدي الاختلافات في المفاهيم و المنهجيات بين الدين والعلم إلى التوتر والتصادم. فمن الضروري أن يكون هناك توازن بين الاحترام للمعتقدات الدينية وحق البحث العلمي في استكشاف الحقائق. ومن الجدير بالذكر أن النهج التصالحي بين الدين و العلم يمكن أن يعزز التفاهم والتعاون بين مختلف الأطراف ويساهم في تحقيق التقدم الشامل في المجتمعات المختلفة والمتنوعة(١١).

إن دور العلم في تشكيل المعتقدات والممارسات الدينية هو ظاهرة معقدة ومتعددة الأوجه تطورت مع مرور الوقت. تاريخيًا، غالبًا ما كان يُنظر إلى الدين والعلم على أنهما مجالان متنافسان أو متعارضان، حيث يُنظر أحيانًا إلى وجهات النظر الدينية العالمية القائمة على الإيمان والوحي على أنها غير متوافقة مع البحث العلمي والأدلة التجريبية. إلا أن العلاقة بين الدين والعلم ليست بالضرورة علاقة تعارض، بل هي علاقة تفاعل وتأثير وإثراء متبادل.

إحدى الطرق المهمة التي ساهم بها العلم في تشكيل المعتقدات والممارسات الدينية هي من خلال قوته التفسيرية. لقد شكلت الاكتشافات العلمية حول العالم الطبيعي، مثل اكتشافات علم الفلك والبيولوجيا والجيولوجيا وعلم الأعصاب، تحديًا لعلم الكونيات الديني التقليدي، وفهم أصول الإنسان، ومفاهيم الإلهية. على سبيل المثال، شكلت نظرية التطور تحديا لوجهات النظر الخلقية حول أصول الحياة، في حين سلط التقدم في علم الأعصاب الضوء على الأساس العصبي للتجارب والمعتقدات الدينية(١٢).

علاوة على ذلك، قدم العلم تفسيرات بديلة لظواهر كانت تعزى ذات يوم إلى التدخل الإلهي أو أسباب خارقة للطبيعة. على سبيل المثال، تم تفسير الكوارث الطبيعية و الأمراض وغيرها من الكوارث تاريخياً على أنها أعمال الله أو عقاب على خطايا البشر. ومع ذلك، فإن التفسيرات العلمية المتجذرة في مبادئ الفيزياء و البيولوجيا وعلم الأوبئة قدمت فهمًا أكثر دقة لهذه الظواهر، مما أدى إلى تحولات في التفسيرات و الممارسات الدينية(١٣).

وفي الوقت نفسه، أثر العلم أيضًا على المعتقدات و الممارسات الدينية بطرق أكثر إيجابية. على سبيل المثال، ألهمت الاكتشافات العلمية حول ترابط الحياة على الأرض

الحركات البيئية ضمن التقاليد الدينية المختلفة، مما أدى إلى تطوير اللاهوت البيئي و الأطر الأخلاقية للإشراف البيئي. وعلى نحو مماثل، أثار التقدم في العلوم الطبية مناقشات أخلاقية داخل المجتمعات الدينية حول قضايا مثل تقنيات الإنجاب، والرعاية في نهاية الحياة، والهندسة الوراثية(١٤).

المبحث الثالث

الفكر القومي والطائفي

شهد الفكر القومي والطائفي في العالم الإسلامي تحولات كبيرة على مدى القرون الماضية، خاصة في الاستجابة للتحديات السياسية والاجتماعية. يمكن تقسيم تطور الأيديولوجيات القومية والطائفية إلى عدة مراحل، تتأثر كل منها بالأحداث الكبرى والتغيرات الاجتماعية والثقافية.

المطلب الأول: الفكر القومي:

في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بدأ الفكر القومي في الظهور كرد فعل على الهيمنة العثمانية و الاستعمار الأوروبي. فالقومية العربية، على سبيل المثال، سعت إلى تحقيق الوحدة العربية وإحياء التراث العربي و الثقافة الإسلامية، ونأت بنفسها عن السيطرة العثمانية والغربية. تميزت هذه الفترة بروح النهضة والنهضة الثقافية، حيث دعا المثقفون العرب إلى الوحدة و التحرر الوطني. وقد خاضت شخصيات بارزة مثل جمال الدين الأفغاني وغيره مناظرات معروفة مع المستشرقين، ووازنوا بين الاستفادة من أعمالهم وانتقاد مواقفهم. ومع سقوط الإمبراطورية العثمانية وانهيار الإمبراطوريات التقليدية، أصبحت الحركات الطائفية أكثر وضوحاً. وتفاقمت الانقسامات الطائفية بين المسلمين السنة والشيعة، وكذلك التوترات بين المسلمين و المسيحيين في بعض المناطق، بسبب الصراعات السياسية والاقتصادية. وكثيراً ما لعبت القوى الاستعمارية دوراً في تفاقم هذه الصراعات لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية، مما أدى إلى تصاعد التوترات الطائفية وتعميق الانقسامات داخل المجتمعات الإسلامية(١٥).

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، شهدت المجتمعات الإسلامية محاولات جديدة لمعالجة الفكر القومي و الطائفي في سياق التحديات الحديثة. وحاولت بعض الحركات

القومية دمج القيم الإسلامية مع المبادئ الحديثة، مثل العدالة الاجتماعية والمساواة، لتقديم رؤية جديدة للمجتمع. وفي الوقت نفسه، ظهرت حركات إسلامية تسعى إلى توحيد الأمة الإسلامية تحت راية الإسلام، متجاوزة الانقسامات الطائفية و القومية[١٦]. يُنظر إلى الفكر الفلسفي في العصر الحديث إلى حد كبير على أنه انعكاس لمواقف المفكرين المسلمين تجاه الغرب، سواء كان ذلك القبول الكامل و التام لأنماط التفكير الغربي، أو الرفض التام، أو محاولات التوفيق بين هذه الأنماط المستوردة و الفكر الموروث.

وفي سياق الإصلاح الديني، يلعب الفكر القومي و الطائفي دوراً مركزيًا في تشكيل الخطابات و الممارسات الإصلاحية. غالباً ما يتعاون القوميون و الإصلاحيون الدينيون لتحقيق أهداف مشتركة، مثل مكافحة الفساد السياسي و الاجتماعي، وتعزيز التعليم و التقدم العلمي، وحماية الهوية الثقافية و الدينية من التغريب. ومع ذلك، لا تزال التحديات الطائفية تشكل عقبة رئيسية أمام الإصلاح الشامل، حيث تستنزف الانقسامات الداخلية الجهود الإصلاحية وتعيق التقدم نحو الوحدة و التماسك داخل المجتمعات الإسلامية[١٧].

في القرن العشرين، شهدت العديد من الدول في العالم العربي، بما في ذلك مصر وسوريا و العراق وليبيا وغيرها، صعود أحزاب أو قادة عسكريين يعتنقون أيديولوجيات قومية إلى السلطة. وكثيراً ما وصلت هذه الجماعات إلى السلطة من خلال الانقلابات العسكرية واستخدام القوة، وليس من خلال الوسائل الديمقراطية. ونتيجة لذلك، فإنهم لم يمثلوا بالضرورة أغلبية السكان، بل أقلية يقودها مزيج من الأيديولوجيات القبلية و الطائفية، وأحياناً الصارمة دينياً. هدفت الحركات القومية في البداية إلى الإطاحة بالحكم الاستعماري وإقامة دول مستقلة وموحدة يمكنها الوقوف في وجه النفوذ الأجنبي[١٨]. ومع ذلك، فإن الوسائل التي استولت بها هذه الأنظمة على السلطة غالبًا ما كانت تنطوي على قدر كبير من العنف و القمع. أصبحت الانقلابات العسكرية وسيلة شائعة لتحقيق التغيير السياسي، مما أدى إلى إنشاء أنظمة أعطت الأولوية للسيطرة المركزية و الحكم الاستبدادي. ولأن هذه الأنظمة القومية لم تعكس بصدق المصالح و الرغبات المتنوعة لشعوبها، فقد لجأت في كثير من الأحيان إلى التدابير الاستبدادية للحفاظ على سيطرتها[١٩].

المطلب الثاني: الفكر الطائفي:

وقد أدى دمج العناصر الدينية الصارمة إلى زيادة تعقيد النسيج الاجتماعي، مما أدى إلى زيادة الاستقطاب. تاريخياً، تميل مثل هذه الحركات القومية، التي تقودها أقلية ذات قناعات إيديولوجية قوية، إلى الحكم الاستبدادي. إن التركيز على الحفاظ على السلطة بدلاً من تعزيز الحكم الشامل و الوحدة الوطنية الحقيقية غالباً ما يؤدي إلى الركود السياسي و الاجتماعي. وبمرور الوقت، تؤدي التناقضات المتأصلة داخل هذه الأنظمة - بين تطلعاتها القومية وممارساتها الاستبدادية - إلى سقوطها. ويصبح احتكار السلطة من قبل زعيم واحد أو عائلة واحدة غير مستدام، لأنه يفشل في تلبية الاحتياجات و الحقوق الأوسع نطاقا للسكان[٢٠].

بالتالي، نستنتج أن مسار الحركات القومية في العالم العربي في القرن العشرين يسلط الضوء على درس مهم: في حين أن الأهداف الأولية للتحرير و الوحدة الوطنية ربما كانت نبيلة، فإن أساليب تحقيق السلطة و الحفاظ عليها كثيراً ما قوضت هذه الأهداف. ومن خلال استبعاد الأغلبية و الاعتماد على القوة و الاستبداد، مهدت هذه الأنظمة في نهاية المطاف الطريق لانحدارها. إن فهم هذا السياق التاريخي أمر بالغ الأهمية للجهود المعاصرة في الإصلاح، لأنه يسلط الضوء على أهمية اتباع نهج ديمقراطي شامل للحكم يعكس بشكل حقيقي إرادة الشعب.

وللنزاعات الطائفية الإسلامية جذور تاريخية عميقة، ناشئة عن الاختلافات في الممارسات الدينية و التفسيرات اللاهوتية. وتشمل هذه الخلافات جوانب مختلفة، من الأذان إلى مكانة علي بالنسبة لمحمد، و التي يقارنها البعض بالعلاقة بين هارون وموسى. ورغم أن هذه الخلافات تعود إلى الأيام الأولى من التاريخ الإسلامي، وخاصة خلال الفتنة الأولى (أول حرب أهلية كبرى داخل المجتمع الإسلامي)، فإنها عادت إلى الظهور وتزايدت حدتها في العصر الحديث، وخاصة بين الوهابية و الإسلام الشيعي. كانت الفتنة الأولى، التي وقعت بعد اغتيال الخليفة الثالث عثمان، بمثابة بداية انقسامات طائفية كبيرة داخل الإسلام. وقد أدى الصراع اللاحق على السلطة إلى إرساء الأساس للانقسام بين السنة و الشيعة. لم يكن هذا الصراع سياسيًا فحسب، بل كان أيضًا لاهوتيًا، مما أدى إلى تطور مذاهب وممارسات دينية متميزة[٢١].

في القرن الثامن عشر، أدى ظهور الوهابية في عهد محمد بن عبد الوهاب إلى موجة جديدة من التوتر الطائفي. سعت الوهابية، وهي حركة إصلاحية متشددة داخل الإسلام السني، إلى العودة إلى ما اعتبرته الممارسات النقية للمجتمع الإسلامي المبكر. لقد عارضت بشدة العديد من ممارسات الشيعة، بما في ذلك تبجيل القديسين وبناء المقابر و الأضرحة المتقنة. ومن أبرز الأمثلة على الصراع الوهابي الشيعي كانت الهجمات الوهابية على الأماكن المقدسة الشيعية. في عام ١٨٠٢م، هاجمت القوات الوهابية كربلاء، وهي مدينة ذات أهمية كبيرة للمسلمين الشيعة بسبب ارتباطها باستشهاد الإمام الحسين، حفيد محمد. ونهب المهاجمون المدينة، وقتلوا العديد من سكانها، بما في ذلك النساء و الأطفال، ودنسوا مقابر الشخصيات الشيعية المبجلة. وبالمثل، واجهت مدينة النجف، وهي مركز شيعي مهم آخر، تهديدات واعتداءات من القوات الوهابية[٢٢].

هوامش البحث

(١) زكاري، محمد، الإصلاحية الإسلامية والنص القرآني، مجلة المستقبل العربي، العدد ٥١٣، ٢٠٢١م، ص٨٥.

(٢) جيب، هاملتون، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٠-١١٨.

(٤) زكاري، محمد، الإصلاحية الإسلامية و النص القرآني، ص ٨٨.

(٥) حب الله، حيدر، الإصلاح الديني: الثغرات، الإخفاقات و الإشكاليات، كلمة تحرير العدد،من مجلة نصوص معاصرة، ٢٠١١م، ص ١٧- ٢٠ و ٢٢.

(٦) جيب، هاملتون، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٥٩.

(٧) سيد، محمود ماهر عبده، الحقيقة الكونية بين الدين و العلم التجريبي، مجلة كلية أصول الدين و الدعوة بأسيوط، المجلد ٤٠، العدد ٢، ٢٠٢٢م، ص ١٨٣٧-١٩٢٥.

(٨) كانط، إيمانويل، الدين في حدود مجرد العقل، ترجمة فتحي المسكيني، جداول للنسر و التوزيع، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٥٦-٥٧.

(٩) عبدالنور، محمد عبدالنور، جدلية الفصل و الوصل بين الدين و العلم في الفكر الغربي: المثالية الألمانية أنموذجاً، دورية نماء، العدد ٣، ٢٠١٧م، ص ٨٨.

(١٠) المرزوقي، أبو يعقوب، الإبستمولوجيا البديل: محاولة في فقه العلم ومراسه، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م، ص ١٤١.

(١١) راسل، بتراند، الدين و العلم، ترجمة رمسيس عوض، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣.

(١٢) راسل، بتراند، الدين و العلم، ص ٤.

(١٣) محمد، مينار، جدل الدين و العلم في مشروع إسلامية المعرفة، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ٢٠١٢م، ص ٤٦.

(١٤) الشيخ، حسين عبد الزهرة، إشكالية العلاقة بين الدين و العلم في الفكر العربي المعاصر التيار العلماني أنموذجاً، مجلة الآداب، العدد ٩٩، ٢٠١٢م، ص ٥٧٠-٥٨٤.

(١٥) مجموعة مؤلفين، المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الأردن، ٢٠١٤م، ص ١٨.

(١٦) مجموعة مؤلفين، المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي، ص ٢١.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) رحيم خلف كاظم الشرع، الة عبد الأمير محسن، إشكالية الفكر القومي في العراق حتى عام ١٩٦٣م، مجلة كلية التربية بجامعة واسط، المجلد ١، ٢٠٢٢م، العدد ٤٩، ص ١٥١-١٦٠.

(٢٠) الحسن، نافع، الفكر القومي بين متطلبات التجديد و العودة إلى المنابع الأصلية في ضوء تجارب التيارات القومية في النصف الثاني للقرن العشرين، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية و الاجتماعية، ٢٠٠٩م، ص ٤٤.

(٢١) الوردي، على، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق، دار الوراق للنشر، ٢٠١٥م، ص ٢٢.

(٢٢) الجابري، محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٦٨.

قائمة المصادر والمراجع

1. Boutro, Emile, Science and Religion in Contemporary Philosophy, translated by Ahmed Fouad Al-Ahwani, Egyptian General Book Authority, Cairo, 1973 AD.
2. Al-Jabri, Muhammad Abed, The Arab Moral Mind, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2001 AD.

3. Gibb, Hamilton, Modern Trends in Islam, translated by Hashim Al-Husseini, Al-Hayat Library House, Beirut, 1966 AD.

4. Hoballah, Haidar, Religious Reform: Gaps, Failures and Problems, Editorial Speech of the Issue, of Contemporary Texts Magazine, 2011 AD.

5. Al-Hassan, Nafi', Nationalist Thought between the Requirements of Renewal and a Return to the Original Sources in Light of the Experiences of Nationalist Movements in the Second Half of the Twentieth Century, Al-Quds Open University Journal for Human and Social Research, 2009.

6. Russell, Betrand, Religion and Science, translated by Ramses Awad, Dar Al-Hilal, Cairo, 1997 AD.

7. Rahim Khalaf Kazem Al-Sharaa, Abdul Amir Mohsen, The Problem of Nationalist Thought in Iraq until 1963 AD, Journal of the College of Education at Wasit University, Volume 1, 2022 AD, Issue 49.

8. Zakari, Muhammad, Islamic Reformism and the Qur'anic Text, Al-Mustaqbal Al-Arabi Magazine, Issue 513, 2021 AD.

9. Sayed, Mahmoud Maher Abdo, The Universal Truth between Religion and Experimental Science, Journal of the College of Fundamentals of Religion and Da'wah in Assiut, Volume 40, Issue 2, 2022 AD.

10. Sheikh, Hussein Abdel Zahra, the problem of the relationship between religion and science in contemporary Arab thought, the secular trend as a model, Al-Adab Magazine, No. 99, 2012 AD.

11. Abdel Nour, Mohamed Abdel Nour, the dialectic of separation and connection between religion and science in Western thought: German idealism as a model, Namaa Journal, Issue 3, 2017 AD.

12. Kant, Immanuel, Religion within the Limits of Mere Reason, translated by Fathi Al-Miskini, Tables of Origin and Distribution, Beirut, 2012 AD.

13. A group of authors, The Sectarian Issue and the Making of Minorities in the Arab World, Arab Center for Research and Policy Studies, Jordan, 2014.

14. Muhammad, Minar, The Controversy of Religion and Science in the Islamic Knowledge Project, Master's thesis, Prince Abdelkader University, Constantine, 2012 AD.

15. Al-Marzouqi, Abu Yaqoub, Alternative Epistemology: An Attempt at the Jurisprudence of Science and its Practices, Tunisian Publishing House, Tunisia, 1985 AD.

16. Al-Wardi, Ali, Social Glances from the History of Iraq, Al-Warraq Publishing House, 2015 AD.